المجاعة والوباء وأثرهما على المجتمع المصري
(٥٩٥-٥٩٨هـ/ ١١٩٨-١٢٠١م)

المؤتمر العلمي السنوي السادس عشر للجمعية المصرية للدراسات التاريخية للعام ٢٠١٥/٢٠١٦م
المراحل الانتقالية في تاريخ مصر وآثرها على التحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية
في الفترة من٢٦- ٢٨/٤/ ٢٠١٦م

دكتور
سيد محمود محمد عبد العال
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الآداب – جامعة الفيوم

تتناول هذه الدراسة المجاعة والوباء الذي أصاب مصر لمدة أربعة أعوام في الفترة (٥٩٥-٥٩٨هـ/ ١١٩٨-١٢٠١م) أثناء حكم السلطان المنصور محمد بن العزيز عثمان (٥٩٥-٥٩٦هـ/١١٩٨-١١٩٩م) ثم السلطان العادل سيف الدين أبو بكر(٥٩٦- ٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م) حيث لم تلق المجاعات والأوبئة التي حدثت في مصر في عهد الأيوبيين الاهتمام الكافي من قبل الباحثين والدارسين مثلما حظيت مثيلتها التي حدثت في العصر الفاطمي أو العصر المملوكي.

وقد شهدت مصر غلاء أعقبه مجاعة ووباء ابتداء من عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م بسبب توقف ماء النيل عن الزيادة، وبالتالي عدم زراعة الأرض الزراعية وأخذت الأسعار في الارتفاع، وترتب على اشتداد الغلاء أن كثر الفقراء في القاهرة والفسطاط، وخلي الريف المصري من سكانه، واشتد الجوع بالناس، وأكل بعضهم بعضا وأكلوا الميتة، واضطر عدد كبير من أهالي مصر إلي الهجرة منها إلي بلاد الشام والمغرب وما لبثوا أن قضوا نحبهم في الطريق بعد أن أعياهم الجوع والمرضوقد و ُصف هذا الوباء بـ " سنة سبع افترست أسباب الحياة "

وكانت هذه المجاعة شديدة الوقع على المجتمع المصري في جميع نواحيه الاقتصادية والاجتماعية. فقد عدمت الزراعة وأهملت الجسور ومات الفلاحين وخلت القرى، ووقع الفناء في الثروة الحيوانية، وتعطلت الصناعات بسبب موت الصناع مثال ذلك صناعة الحصر في الفسطاط التي كان بها تسعمائة منسج لم يبق منها إلا خمسة عشر منسجا والقياس على ذلك.

و أثرت هذه المجاعة على الطرق التجارية والأسواق حيث عدمت الأقوات وارتفعت الأسعار مما أدي إلي حدوث غلاء وأثر على السلع الأساسية كالحبوب، فعدم القمح والشعير وحاول البعض استغلال بعض التجار الغلاء من خلال تخزين الغلال وامتنع عن بيعها

أما أثرها الاجتماعي فقد كثر موت الناس في المدن والقرى وكثر موت الأطفال وأكل لحوم البشر واستعبدت الحرائر وتحولت المدن إلى خرائب حيث تم هدم أحياء بأكملها لاستعمال أنقاضها وخاصة الخشب الذي استخدم

كوقود. أما موقف الدولة من هذه المجاعة فقد تم جلب الدجاج والقمح من بلاد الشام، وتوزيع الفقراء على أهل الثراء، وتكفين الموتي، ومعاقبة من يقوم بأكل لحوم البشر سواء بالتغريق أو الحرق.